

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل (ط1): 1835079403

رقم التسجيل (ط2): 1835079411

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD،

تخصص: لادب العربي

بعنوان

فلسفة الموت والحياة في رواية عائشة تنزل □
الي العالم السلفي لـ: بثينة العيسى

إعداد الطالبتين:

- طكوك كريمة

- لبقع لميس خلود

أمام لجنة المناقشة:

| الرقم | الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الجامعة | الصفة |
|-------|---------------|----------------|---------------|--------------|
| 1 | بسطال باسم | أ/ مخاضر | جامعة المسيلة | رئيسا |
| 2 | بختي بشير | أ/ مخاضر | جامعة المسيلة | مشرفا ومقررا |
| 3 | بن مساهل باية | أ/ مخاضر | جامعة المسيلة | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1443/1444 هـ. 2023/2022 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد ليدح لميس خلود الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 20032144 الصادرة عن يوسادة بتاريخ 21 / 11 / 2022

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة

مستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه فلسفة الموت والحياة في رواية

عائشة نزل إلى العالم السفلي

تحت إشراف الأستاذ بحتي الميسير

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة

الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التوقيع

التاريخ 10/07/2023

مصادقة البلدية

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه
الحون الموضوح
المضاء: ميلود بن عليبة



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: القرار الوزاري رقم : 399 المؤرخ في : 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه:

السيد(ة): المجرب كريمة

الصفة : طالب، أستاذ باحث، باحث دائم : المعلمة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 182 9 087 9 والصادرة بتاريخ: 2023/11/29

الصادرة عن دائرة بج. مسعاهة

المسجل (ة) بكلية: الآداب واللغات قسم الأدب العربي

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه) عنوانها:

تحليل سيميوتيك للخطاب في الرواية الجزائرية الحديثة

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية

المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2023/11/29

إمضاء المعني (ة)

11 جويلية 2023



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ
وَيُدْخِلُ الْمَوْتَ فِي الْحَيِّ
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ

الإهداء

لم تكن الرحلة قصيرة ولم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفورا
بالتسهيلات لكنني فعلتها وفي اللحظة الأكثر فخرا
أهدي تخرّجي لـ أبي طبت عمرا يا أبي
وإلى من حفّزتي أن أكمل الطريق أُمي رعاك الله وأطال الله في عمرك
وإلى من كان له الفضل في مسيرتي وساعدني ولو قليلا داعية المولى أن
يطيل في أعماركم ويرزقكم من الخيرات

لبقع لميس خلود

الإهداء

بسم الله والصلاة والسلام على أطيب خلق الله سيّد المرسلين محمد صلى الله عليه

وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

الحمد لله الذي إذا أعطى أدهش وأجزل وأكرم بعد جهد كبير ومسار دراستي

وعلمي شاق سنوات طويلة

ها قد أتى اليوم المنتظر، فتح آخر من الله، اليوم الذي أقول فيه:

أهدي ثمرة عملي إلى

منبع الحنان التي حملتني وهن على وهن التي سهرت الليالي ليطيب نومي، إلى

التي رهنت صحتها وجعلت شبابها روضة عرشنا فيها وانتظرت ثمارها... أهدي

إحدى ثماري لكي وأرجو رضاك يا أغلى إنسانة في الوجود... **أمي الحبيبة**

إلى من زرع في قلبي حبّ العلم، وعمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح

وأوصلني إلى ما أنا عليه الآن... **أبي الغالي** رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

إلى سندي في الحياة **أختي إيمان وأخي رمزي** حفظهم الله ورعاهم

إلى صديقتي، لميس التي كانت عوناً لي في إنجاز هذه المذكرة،

وإلى كل من مدّ يد العون في إنجاز هذا البحث

طكوك كريمة

شكر وعرفان

قال الله تعالى: "رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" سورة النمل، الآية 19.

نحمد الله عزّ وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي، والذي ألهمنا الصّحة والعافية والعزيمة والصّبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع. فالحمد لله حمدا كثيرا

نتقدم لجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف "بختي البشير" على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات ومعلومات قيّمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في مختلف جوانبها، وكذا الشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه، من أدلى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة.

كما نشكر كل أساتذة وعمال لـ قسم اللغة العربية وآدابها خاصة، وكل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل أن يرزقنا السداد والرشاد والعفاف والغنى، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

❖ طكوك كريمة

❖ لبقع لميس خلود

مقدمة

شغلت حيزا واسعا قضية الحياة والموت الإنسان منذ القديم، كما ورد ذكرها في القرآن الكريم مرات كثيرة، لأنها القضية الأكثر عمقا وغموضا، وقد لقيت مسألة الموت والحياة اهتماما واسعا في الأدب من قبل الشعراء والمفكرين والفلاسفة وهم يعدون من أكثر المهتمين انشغالا بها. وقد تجذرت هذه الثنائية في الأدب العربي شعرا ونثرا، نظرا لما في الموت من قسوة التعذيب، ولما في الحياة من بشرى الاستمرارية.

وبمجرد ذكر الإنسان يتراءى لنا الحديث عن إشكالية الموت والحياة، وهي تعتبر من أكثر وأعمق الموضوعات الإنسانية إثارة للجدل بين الروائيين، لأنها ببساطة مرتبطة بحياة الإنسان وواقعه ومغزى كينونته، لهذا سعت الرواية إلى تسليط الضوء على البنية الأنثروبولوجية لثنائية الموت والحياة، فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إدراك معنى الحياة والموت، وفهم أسرارهِ وظواهرهِ، لذا بقي يبحث عن سر الوجود، ومع تطور العلم والثقافة وتغير الزمن زاد الإنسان إصرارا في محاولة الكشف والبحث عن حقيقة حياته وموته، فوقف الأدباء والفلاسفة مليا اتجاه ما يحدث له، فاختلقت آرائهم وتعددت فلسفاتهم الفكرية.

ومن بين الأدباء الذين تناولوا قضية الموت والحياة الكاتبة بثينة العيسى في روايتها عائشة التي اخترتها موضوعا للبحث، حيث تبرز بوضوح موضوعات عديدة للحياة والموت من خلال شخصية عائشة، ولأجل التعرف وفهم نظرتها للحياة وللموت في الرواية كان لا بد أن أطرح الإشكالية التالية:

كيف برزت فلسفة الموت والحياة في الرواية؟ وكيف بإمكان الإنسان التعامل مع هذه الثنائية في آن واحد؟ وما هو الأثر الذي تتركه في نفسية القارئ؟

ومن الأسباب الموضوعية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، أهميته وأثره البالغ في الأدب، ذلك لأن ثنائية الموت والحياة، بقيت إلى يومنا هذا إشكالية كبيرة تثير الجدل الواسع في الساحة الأدبية، بالإضافة إلى هناك أسباب ذاتية تمثلت، في ميولي وحبتي

لقراءة الروايات وتتبعي لكل ما هو جديد في الرواية العربية، سواء من حيث طريقة الكتابة أو المواضيع المطروقة، إلى جانب رغبتي الشخصية في تحليل الرواية ودراسة شخصياتها بعمق وتأنى.

ولإعداد هذا البحث، فقد وجدت أن المنهج الموضوعاتي مع منهج التحليل هما الأنسب لدراسة ظاهرة الحياة والموت في الرواية، ذلك لأن المنهج الموضوعاتي منفتح على أغلب المناهج الأخرى خاصة منهج التحليل النفسي، إضافة إلى أنه يهدف إلى دراسة الموضوعات داخل النص بعمق، ويركز على دراسة الجانب الدلالي للموضوع، ذلك لأن النص الروائي الآن لم يعد كالسابق بدأ في التحرر، فالكاتب اليوم لم تعد وظيفته إيصال حقيقة ما أو نقل الواقع كما هو، إنما أصبح يبحث عن مسائل الحقيقة والنظر والبحث بعمق إلى ما وراء الواقع في تشخيص الحياة النفسية للشخصية الروائية أو (المونولوج الداخلي) وهذا ما أكده لنا فرويد الذي وضح العلاقة بين الإنسان والأدب والتحليل النفسي وكيفية تطبيقه على النص الأدبي.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، فقد قسمت البحث إلى فصلين؛ حيث عنونت الفصل الأول بمفاهيم نظرية حول الموت والحياة.

وعنونت الفصل الثاني بموضوعات الموت والحياة في الرواية.

ولإنجاز هذا البحث فقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع التي من أهمها: كتاب إنساني مفرط في إنسانيته لفريدريك نيتشه والعبقرية والموت لعبد الرحمان بدري وكذلك كتاب محمد متولي الشعراوي الحياة والموت.

وككل بحث واجهتني بعض الصعوبات من أهمها: - قلة خبرتي بهذا الموضوع، مما جعلني أقف على مجموعة كثيرة من المراجع، إلى جانب قلة الدراسات في هذا الموضوع.

مقدمة

وفي الأخير أحمد الله على أو وفقني في إنجاز هذا العمل، كما أتوجه بالشكر إلى
أستاذي الفاضل الدكتور البشير بختي الذي كان عوناً لي بتوجيهه وتشجيعه، حيث
تمكنت من إنهاء هذا العمل في آجاله المحددة.

الفصل الأول

مفاهيم نظريّة حول الموت والحياة

1- مفهوم الموت

2- مفهوم الحياة

3- ألفاظ وآيات قرآنية ذات صلة بالموت والحياة

4- الموت والحياة في الفكر الفلسفي والديني

1- مفهوم الموت

لغة: بالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد لفظة الموت في قاموس لسان العرب بابن منظور تعني الموت ضد الحياة والأصل فيه موت بالكسر والاسم من كل ذلك الميتة ونظيره دمت وتدوم إنما هو دوم¹.

ورحل ميت وميت

وجاء في قاموس المحيط مات يموت بميت فهو ميت ضد حي ومات سكن ونام أو الموت المخففة جمع أموات وموتى وميتون وهي ميتة وميتة².

قوم صوتي وأموات وميتون وميتون وموت مانت، كقولك ليل لائل، يؤخذ له من لفظه ما يؤكد به.

- وأماته الله- وموته شدد للمبالغة.

- وموتت الدواب- كثر فيها الموت.

- وأمات الرجل- مات ولده

- ومرة مُميت ومُميتة، مات ولدها أو بعلمها، وكذلك الناقة إذا مات ولدها والجمع مما ويت

- واستمات الرجل- إذا طاب نفسا بالموت.

- ويقال ضربته فتماوت -إذا أرى أنه ميت وهو حي.

- والمستميت- المستقل الذي لا يبالي في الحرب، الموت.

- ويقال استميتوا صيدكم- أي أنظروا أمات أم لا وذلك إذا أصيب فشك في موته

والمستميت: الشجاع- الطالب للموت.

المستقل الذي لا يبالي في الحرب.

وفي حديث بدر: أرى القوم مستميتين أي مستقتلين وهم الذين يُقاتلون على الموت³.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص 4295.

² مجد الدين محمد الفيروز، أبادي قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، طبعة 3، 2009، ص 1562.

³ ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 4296-4297.

أما من حيث الاصطلاح اعتمد الإنسان قديماً في تحليله الموت على أنه الموت الغيبي، أي أنه منتهى بالنسبة إليه لكن في الوقت الحالي ومع تطور العقول ونشأة التفكير المنطقي، أصبحت هناك جهود علمية ترصد ظاهرة الموت من مختلف النواحي، وفي مفهوم الموت عند الفلاسفة {ينظر هيدجر إلى الموت بوصفه أعلى إمكانية من إمكانات الوجود الإنساني}¹.

أما سارتر فيري بأنه ليس بوسعنا أن نفكر في الموت ومنتظره أو نسلح أنفسنا ضده ولكن مشروعاتنا مستقلة عن الموت فالموت ليس عقبة تقف في سبيل مشروعاتي وإنما هو مجرد مصير يقع في مجال آخر بالنسبة لهذه المشروعات².

وهكذا فقد اعتبر الفلاسفة أن الموت لا يستحق التفكير الطويل ولا يدخل في نطاق إمكانية المعرفة أي أنه لا يمكن اختيار الموت بشكل من الأشكال.

وقد حمل الموت العديد من التساؤلات التي جعلت الإنسان في حالة ذعر وخوف شديد بحكم أنه قضية حتمية لا محل للسؤال فيها فلا طالما ظنوا أن الموت بداية لحياة جديدة أما نعمة أو نقمة وهذه الحياة الحقيقية وعليه يرى بعض المفكرين أن {الحياة ماهي إلا موت لأن الإنسان يشرع في الموت بمجرد أن يولد وهذه الفترة المحدودة في المدة التي تستغرقها عملية وفاته}³.

وقد أفضت دراسة الأحلام عن ما كانت تعتمد عليه أساطير العهود الأولى حول ما يدور داخل الإنسان عن فكرة الموت وقديماً حاول الإنسان ابتكار مجموعة من الرموز وقد جسدت في شكل أحلام وهذا من أجل خروج عن كل قيد مفروض عليه بالقول أن {دراسة ما أنتجه

¹ أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2011، ص13.

² ينظر المرجع نفسه، ص14.

³ أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، لبنان، بيروت، 2011، ص8.

فكر الإنسان عبر العصور نجد أن الموت بجميع صورته اعتبر دوماً بمثابة عملية تؤمن عبوره لحالة أخرى من الوجود تختلف عن كليتها التي ألفها في حياته على الأرض¹. إضافة إلى أن البعض يرى بأن {الحياة هي الموت}². وهذا يعني أن جميع المخلوقات مصيرها الموت وتمر عبر المراحل التالية {المرحلة الأولى مرت في عالم الذر والمرحلة الثانية حياة في الدنيا، والمرحلة الثالثة موت في حياة البرزخ، المرحلة الرابعة حياة خلود إما الجنة أو النار}³. ويرى مصطفى محمود بأن {الموت حادث غريب أن يصبح الشيء... لا شيء ثياب الحداد... والسرادق... والموسيقى والمباخر}⁴. هذا يعني أن الموت ينهي كل شيء وما هو إلا طريق يصل الإنسان بهذه الحياة ليمهد لحياة أخرى.

2- مفهوم الحياة

لغة: أما عن مفهوم الحياة فبالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد في معجم لسان العرب {الحي من كل شيء نقيض الموت وجمع أحياء والحي كل متكلم الناطق والحي من الثبات ما كان طرماً يهتز وحي يحيا ويحي فهو حي وللجميع حيوا بالتشديد}⁵. كما جاء أيضاً في قاموس المحيط {الحي يكسر الحال والحيوان محرّكة والحياة والحيوة بسكون الواو: نقيض الموت والحياة الطيبة، الرزق الحلال أو الجنة والحي ضد الميت جمع أحياء}⁶.

¹ ينظر، المرجع نفسه، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 43.

³ محمد متولي الشعراوي، الحياة والموت، مكتبة الشعراوي الإسلامية، ص 48.

⁴ مصطفى محمود، لغز الموت، دار المعارف، ص 1.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 1076.

⁶ الفيروز الأبادي، قاموس المحيط، دار القاهرة، ص 430.

إذا فالحياة لغة هي البقاء والنمو.

أما من حيث الاصطلاح فالحياة هي تلك التي تعبر عن كل كائن إنسان كان أو حيوان أو نبات فيتميز بقدرته على العيش والتكيف والنمو عن طريق التكاثر لضمان استمرار نوعه الحيوي كما أن هذا المصطلح يحمل أبعاد عميقة في العديد من المفاهيم الدينية الوجودية والعلاقات الاجتماعية لم تقصر الحياة على الإنسان والجان فقط بل الحياة هي كل ما يحيط بنا في هذا الكون ويساعدنا على البقاء والاستمرار فيها لأن {مفهوم الحياة في هذا الكون يختلف تماما عن مفهومنا نحن فأجناس الكون أربعة وهي الجماد النبات الحيوان الإنسان وكل جنس من هذه الأجناس يخدم الآخر ويتوقف عند خصائصه فالجماد مثلا يخدم النبات والحيوان الإنسان وآخر خصائصه هي النمو}¹.

وهذا ما يجعلنا نقول أن كل شيء في الكون حي يتناسب مع مهمته في الحياة ويقال أن {الحياة أولا وقبل كل شيء واقعة، ليس علينا إلا أن نتقبلها بدليل أننا لم نطلب الوجود بل قد وجدنا أنفسنا أحياء على الرغم منا ومن دون أن يكون لإرادتنا دخل فب ذلك}².

وهذا ما أثار عدة تساؤلات حول أصل الحياة ووجود الإنسان فيها خاصة عند الفلاسفة وهذا ما عبر عنه الفيلسوف باسكال حين قال {لقد أبحرت بنا السفينع وليس في وسعنا سوى أن نمضي}³.

والإنسان لا يستوعب الحياة إلا إذا انخرط فيها وفي نفس السياق قال مالو {أن الحياة لا تساوي شيء ولكن شيئاً لا يساوي الحياة صحيح أن هناك أشخاص يتحرون ولكن المنتحر لا يعرف قيمة الحياة بل هو يقلق عليها من الأهمية أكثر مما تستحق}⁴.

¹ محمد متولي الشعراوي، الحياة والموت، مكتبة الشعراوي الإسلامية، ص 26.

² زكرياء إبراهيم، مشكلات الحياة، مكتبة مصر، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 27.

⁴ حمدية كامل رضوان، جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، جامعة بابل، العدد واحد، ص 23.

وعرفها جميل صليبا {الحياة في اللغة نقيض الموت وهي النمو والبقاء والمنفعة والحي كل شيء نقيض الميت والمنفعة والحي أيضا كل متكلم ناطق ومن القدماء من يرى أن شروط الحي أن يكون له بنية وهي الجسم المركب من مجموعة من العناصر والبنية عندهم مجموع جواهر فردة فلا يمكن البدن غيرها أما علماء الحياة المتأخرون فيرون أن الحياة هي مجموع ما يشاهد من الحيوانات والنبات}¹.

وعليه فإن الآراء متعددة حول مفهوم الحياة فيمكن أن يدل على مجمل الأحداث التي تجري في الأرض ويمكن أن تشير إلى فترة حياة أي كائن بدء من لحظة ميلاده.

إن أعمق الفلسفات وأعمد الأفكار هي حقيقة الموت والحياة فكلاهما أثارا الجدل نظرا لارتباطهم المصيري بالإنسان وهما من أكثر الثنائيات الضدية تكرارا في القرآن الكريم لقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ)، الآية: 2.

وجاء في تفسير هذه الآية أي أوجدتهم وقدرهم أزلا لهذا سيظل مفهوم الحياة والموت أحد أهم أسرار خلق الإنسان التي قدرها الله عز وجل في تقديره في شأن الإنسان وغيره من المخلوقات ولتبسيط الفكرة أو بيان كل أبعادها كانت عن طريق الأنبياء وقد عرفت كل الشعوب حقيقة الموت والحياة لكن هناك أمة واحدة تعرف كيفية الموازنة بين الحالتين المرئية ولا مرئية وهو المسلمون ذلك لأن نبينا هو الإنسان الوحيد الذي عاش التجربتين حين نقل الرسالة في رحلته إلى الإسراء والمعراج وأن الإيمان بالقدر رغم وضوح الشواهد عليه إلا أنه معقد ويصعب فهم فلسفته وخير دليل عندما جاء جبريل عليه السلام وجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فيقدر ما كانت الإجابة سهلة فإن هذه الأسئلة هي أهم ثلاثة أسئلة في الكون وإجابتها يقينا وإيماننا في تشكيل فلسفتنا الحياتية ونحن الأمة الوحيد التي تجد الموت طريقا للحياة ومهما عشنا فسنموت

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبنانية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1972، ص503.

وأظن أن كل واحد منا جرب توديع عزيز عليه في رحلة السفر إلى مكان آخر فما كان شعوره في تلك اللحظات؟

تختلط المشاعر بين حزن يرافقه فرح وقد يكون حزنا طاغيا يجتاح الروح ويجعل الدموع مطرا تنهمر على الخدين هذا بالنسبة الرحيل مؤقت فما الحال بالنسبة للموت الذي هو سفر طويل لا عودة منه وهنا المعادلة تختلف وستكون المشاعر مشاعر حزن وألم لا غير وسيظل يجمعنا مع الميت ذكريات ربما لا نستطيع الإمساك بها إلا في زوايا الذاكرة ولقد ناقشت الفلسفات والديانات قضايا الموت والروح وعالم ما بعد الموت وشغلها آلاف السنين ومازالت تشغلها وعلاقتها بالحرية والمسؤولية كل هذا في إطار فلسفة الموت والحياة.

3- ألفاظ وآيات قرآنية ذات صلة بالموت والحياة

أ- الألفاظ القرآنية ذات الصلة بالموت والحياة

توجد عدّة ألفاظ لها صلة بالموت والحياة في القرآن الكريم من أهمّها:

* إنقضاء الأجل: الأجل غاية الوقت في الموت وحلول الدين ونحوه. وقوله تعالى: "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى (129)". طه 128-129. أي لكان القتل الذي نالهم لازماً لهم أبداً وكان العذاب دائماً بهم ويعني بالأجل المسمى القيامة¹.

وكذلك قوله تعالى: "ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون". المنافقون 11 * زهوق النفس: زهقت نفسه خرجت وزهق الباطل أي اضمحل وزهقت نفسه (بالكسر) زهوقاً لغة فيه عند بعضهم².

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55)". التوبة 55.

وكذلك قوله تعالى: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)". الإسراء 81. * الفناء: الفناء نقيض البقاء والفعل فنى يفنى نادر. فناء فهو فان وأفناه هو وتفانى القوم قتلاً: أفنى بعضهم بعضاً، وتفانوا أي أفنى بعضهم بعضاً في الحرب. وفنى يفنى فناء: هرم وأشرف على الموت فرضاً، ويقال للشيخ الكبير: فان³.

"(فنى) ف ن ي: فنى الشيء بالكسر (فناء) باد"⁴.

¹ لسان العرب، باب اللام فصل الألف (أجل) ج 11، ص 11.

² مختار الصحاح، باب الزاي، (زهق)، ص 217.

³ لسان العرب، فنى: الفناء.

⁴ مختار الصحاح، باب الفاء، فنى، ص 380.

ورد الفناء بمعنى الموت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ". الرحمن 26-27.

* المنون: (المنية) وهي الموت وجمعها: المنايا لأنها مقدرة بوقت مخصوص¹.

"المنى: ومنه المنية وهو الأجل والمقدر للحيوان وجمعه: منايا².

فيل المنون: للمنية، لأنها تنقص العدد وتقطع المدد³.

قال الشاعر

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل تميمة لا تنفع

وفي القرآن الكريم، جاءت كلمة المنون في آية واحدة: "أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ" الطور 30.

* الوفاة: الوفاة من الجذر اللغوي: وفي، ونظرة في مشتقات هذا الجذر (التي تعني الوفاة)

فإنها تعني استيفاء النفس واسترجاعها من الجسد التي هي ذاتها المشتقات التي تشترك مع الموت بخروج النفس من الجسد وتساوي خمسة وعشرين مشتقا.

هذه المشتقات التي تعني استقرار النفس واستيفاءها من الجسد والتي تتقاطع مع الموت يخرج النفس من الجسد تنقسم إلى قسمين:

الأول: -يعني خروج النفس من الجسد كبدائية لخروج الحياة من الجسد بمعنى كبدائية للموت

مثل: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) البقرة 240/230.

(وَتَوَفَّانَا مَعَ الْأَبْرَارِ) آل عمران 193.

(يَتَوَفَّيْنَهُنَّ الْمَوْتُ) النساء 15.

¹ النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، المجلد 4، حرف الميم، باب الميم مع النون، (منا) ص 363-368

² مفردات ألفاظ القرآن ط 1، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية 1416هـ/1996م، كتاب الميم من ص 777-778

³ مختار الصحاح، باب الميم، ص 465.

الثاني: -القسم الثاني من مشتقات الجذر في خروج النفس من الجسد مع بقاء الحياة فيه

وهذا الكون في منام النفس، ويرد هذا ثلاث مرات في القرآن الكريم:

(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ) آل عمران 155.

(فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) المائدة 117.

(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم) الأنعام 60.

هذا القسم لا يعني الموت (بمعنى فقدان الحياة) إطلاقاً فهو يعني حالة المنام حيث يتوفى

الله النفس فيها لتعود بعد ذلك إلى الجسد¹.

فالموت هو انقطاع وغياب عن الدنيا نفساً وجسداً، أي انقطاع الصلة بالحياة، وبالتالي فهو

يشمل كل المخلوقات إنسان، حيوان، نبات وكل شيء حي، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ

وَالنَّوَى) الأنعام 95.

* النوم: ولعل أهم آية الذكر الحكيم التي تشرح وتوضح لنا طبيعة الموت والوفاة وعلاقتها

بالنوم هي في سورة الزمر إذ يقول الله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ

فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الزمر 42.

أي أن الله عز وجل يستر في عمل الأنفس ويوقف جريان القلم عليها عندما يقع عليها

الموت وتفرقان النفس والروح الجسد (والتي لم تمت في منامها) ويتوفى أيضاً تلك الأنفس

التي لم تتم -تستوفي أعمالها في منامها ويوفى ما لها وما عليها من سيئات وحسنات.

¹ سعيد حسين العيد يوسف، الموت والحياة، دراسة موضوعية في المصطلح القرآني "بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في

أصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2017، ص34.

ب- آيات الموت في القرآن الكريم

تكررت لفظة الموت ومشتقاتها في القرآن الكريم 145 مرة منها: قوله تعالى:

| الآية رقم | السورة | الآية | الرقم |
|-----------|-----------|---|------------|
| 19 | البقرة | أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ | 1 |
| 94 | البقرة | قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ | 2 |
| 143 | آل عمران | وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ | 3 |
| 35 | الأنبياء | كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ | 4 |
| 99 | المؤمنون | حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ | 5 |
| 57 | العنكبوت | كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ | 6 |
| 19 | ق | وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ | 7 |
| 6 | الجمعة | قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ | 8 |
| 56 | الدخان | لَا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ | 9 |
| 16 | الأحزاب | قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا | 10 |
| -15 | المؤمنون/ | | 11 |
| 30 | الزمر | | مَيِّتُونَ |
| 75 | الإسراء | | الْمَمَاتِ |

ج- آيات الحياة ومشتقاتها في القرآن الكريم

تكرر لفظ الحياة ومشتقاتها بما يخص الخلق والأحياء 145 مرة منها:

قوله تعالى:

1- "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ" البقرة 86.

2- "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة 179.

3- "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ" البقرة 204.

4- "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ ۗ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الأنعام 32

5- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۗ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ" التوبة 38.

6- "هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" يونس 64.

7- "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ" الرعد 26.

8- "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا" الكهف 46.

9- "تَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ" فصلت 31.

10- "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" الحديد 20.

11- "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ" الملك 2

12- "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" الأعلى 16.

13- "حَيِّ" الأنفال/ الأنبياء 42 / 30.

14- "أَحْيَيْنَاهَا" يس 33.

4- الموت والحياة في الفكر الفلسفي والديني

1- فلسفة الموت والحياة في فكر الراغب الأصفهاني

منذ قديم الزمان حار الإنسان بعقله في قصة الحياة والموت، فأعيتته الأفكار والفلسفات ولم يجد لها حلا يروي ضمأه ويشفي غليله، فكلما ازداد هذا الإنسان تمعنا في الفلسفات الوجودية، إلا وازدادت لديه الحيرة في أصول هذه الحياة وما بعدها ولم ينجى من هذه المشكلة إلا من أبقى بنفسه في أحضان الإيمان بالله عز وجل، وانبرى يتلو كتابه الكريم ليجد فيه الجواب الكافي والدواء الشافي، الذي يعرّف الإنسان بنفسه والغرض من وجوده ومصيره في النهاية أنها الراحة كل الراحة والسعادة كل السعادة يجدها المؤمن في القرآن الكريم.

لقد أدت الحيرة بكثير ممن أخطأوا المنهج السليم في فهم الحياة والموت حتى نطقوا بكلمات ظنوها فلسفة وهي في الحقيقة أمرها إعلان عن الإفلاس الحتمي في المنهج الذي سلكوه فتجد الواحد منهم يقول منذ القديم:

قبل أن تنتقل عنها

خذ من الدنيا بحظ

بعدها أطيب منها

فهي دار لست تلقي

وقول الآخر:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

وقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري؟¹

أي أن هناك مشكلة وهي مشكلة الفناء والموت، واختلاف نظرة الناس حولها هناك من الناس من لا يرى بعد الموت شيئاً يذكر، أي النهاية الحتمية الأخيرة، ومنهم من يخاف الموت ويربعبه أمره ويتمنى لو لم يكن هو بالذات، لكن هناك فئة أخرى ترى وتدرك بأن القرآن الكريم هو الذي يوضح لنا حقيقة الموت وما بعده، وهذا حال عالمنا الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله صاحب التصانيف المفيدة وهذه نظرتة إلى الحياة والموت.

ماهية الحياة وأنواعها

يقول الراغب الأصفهاني: "الحياة تستعمل على أوجه" أي أن للحياة في نظره ستة أوجه وهي كالاتي:

الأول: للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان ومنه قيل نبات حي، قال عز وجل: "اعلموا أنّ الله يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا". الحديد، 17².

أي أن الآيات كما جاء في التفسير تدل العقول على العلم بالمطالب الإلاهية الذي أحي الأرض بعد موتها بماء المطر فتخرج النبات قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها، وهذه الآية تدل على أنه العقل لمن لم يهتد بآيات الله. **الثانية:** للقوة الحساسة وبها يسمى الحيوان حيواناً قال عز وجل: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا". المرسلات. 25-26³.

الثالثة: للقوة العاملة العاقلة كقوله تعالى: "وَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ". الأنعام. 122⁴.

الرابعة: عبارة عن ارتفاع الغم وبهذا النظر قال الشاعر:

¹ إيليا أبو ماضي قصيدته الطلاسم.

² أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص138.

³ نفسه، ص139.

⁴ نفسه، ص139.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

الخامسة: الحياة الآخروية الأبدية وذلك يتوصل إليه بالحياة التي هي العقل والعلم، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِيُحْيِيَكُمْ". الأنفال. 24 وقوله "يَا أَيَّتُهَا قَدَمْتُ لِحَيَاتِي" الفجر. 24 يعني بها الحياة الآخروية.

السادسة: التي يوصف بها الباري، فإنه قيل فيه تعالى: "هُوَ جَبِّي"

فمعناه لا يصح الموت وليس ذلك إلا عز وجل.

بهذه الطريقة المميزة، التي اتطقت صاحبها من القرآن الكريم ميز الراغب الأصفهاني بين أنواع الحياة، مما يعني مباشرة التمييز بين أنواع الأحياء فليست الحياة شيئاً واحداً تشترك فيه جميع الناس بل تختلف ابتداءً من القوة النامية في الحيوانات والنباتات، إلى الحياة الآخروية الأبدية بالنسبة للمخلوقات، يتفاضل الناس فلا يمكن أن يستوي شخصان أحدهما لا زال على النوع الأول من الحياة، والثاني تجاوزها إلى حياة العقل والعلم والمعرفة، التي جعلها طريقاً إلى الحياة الآخروية الأبدية السعيدة.

يتبين لنا هذا الفرق واضحاً حينما نجد الراغب يميز بين أنواع الموت بحسب أنواع الحياة التي ذكرها سابقاً¹.

ماهية الموت وأنواعه

يقول الراغب: أنواع الموت بحسب أنواع الحياة يذكر الراغب هذه الأنواع ويستشهد أحياناً لكل نوع بأكثر من آية اخترت في هذا الموضوع آية أو آيتين:

الأول: ما هو بإيذاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنباتات نحو قوله تعالى:

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". الحديد 17.

¹ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص476.

الثاني: زوال القوة الحاسة قال تعالى "فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا". مريم 23. وقوله تعالى: "أءَذَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا". مريم 66.

الثالث: زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو قوله تعالى: "أَوْمِنُ كَأَن مَيِّتًا فَأُحْيِيَنَّاهُ". الأنعام 122. وإياه قصد بقوله: "إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ". النمل. 80.

الرابع: الحزن المكدر للحياة وإياه قصد بقوله: "يَتَجَرَّرُهُ وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ". إبراهيم. 17.

الخامس: المنام فقيل النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل وعلى هذا النحو سماه الله تعالى توفياً فقال: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ". الأنعام. 160.

"اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا". الزمر 42.

وأخيراً يعود الراغب الأصفهاني ليؤكد النوع الأول م الموت الذي تشترك فيه كل المخلوقات فقال: وقوله: "كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ". العنكبوت 57.

عبارة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد وقوله: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ". الزمر 30. فقط قيل معناه ستموت تنبئها أنه لا بد لأحد من الموت كما قيل "والموت حتم في رقاب العباد" وقيل بل الميت هنا ليس باستشارة إلى إبانة الروح عن الجسد بل هو إشارة إلى ما يعتري الإنسان في كل حال من التحلل، فإن البشر ما دام في الدنيا يموت جزءاً فجزءاً...³

إن هذه المقابلة الرائعة التي يعقدها الراغب بين أنواع الحياة وأنواع الموت التي تقابلها تجعلنا تستنتج أن الإنسان يختلف عن الآخر بحسب نوع الحياة التي يحيها فالأفضل حياة من استكمل أنواعها، إن لا يمكن أن يستوي من لم يتعدى في حياته القوة النامية التي

¹ المرجع نفسه، ص 476.

² أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف ب الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 476

³ المرجع نفسه، ص 477.

يشاركه فيها الحيوان والنبات ومن تجاوزها نحو الحياة العلمية العقلية التي تؤدي به إلى حياة الراحة والطمأنينة والسلامة من الهموم المكدره، مما يجعله يتشوق نحو ما هو أعظم منها وهي الحياة العلمية العقلية التي تؤدي به إلى حياة الراحة والطمأنينة والسلامة من الهموم المكدره، مما يجعله يتشوق نحو ما هو أعظم منها وهي الحياة الآخروية الأكثر سعادة وهناء على الإطلاق لما فيها من دخول الجنة ثم رؤية الله ﷻ.

ويظهر لنا خلاف ما تقدم حينما نرى الراغب يتحدث عن أنواع الموت التي لا يراها إلا العاقل فكم من إمرئ يرى نفسه حيا وهو عند الناظرين عليه ميت، إذا الموت كما نتبينه من تفصيل الراغب موتان: مادي، وهو زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد ومعنوي: هو منه زوال القوة العاقلة وحلول الجهالة إذ هو واضح أن الجهل موت، مما ينبغي أن الجاهل ميت نظرا لما استشهد به الراغب من الآيات ثم أثر من الحكم والأقوال التي يصف فيها الحكماء الجاهل بالموت كما قال أحدهم:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وأن إمرء لم يحيي بالعلم ميت
فليس له حتى النسور نسور

ثم تتابع الهموم والأحزان المكدره للحياة التي تجعل الإنسان لا يشعر أنه حي، وقد تؤدي به هذه الهموم والأحزان في حالة من ضعف النفس وقلة الإيمان إلى تمني الموت وتفضيله على حياة غير مربحة.

ثم إنه من حكمة الله تعالى أن جعل في النوم ما يشبه الموت تماما حتى يألف الإنسان الموت الحقيقي ويستعد له بالإيمان والعمل الصالح، لقول الله تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الزمر 42.

مفهوم الموت في رأي المفكرين والفلاسفة

1- المفكرون والفلاسفة العرب: تنوعت آراء فلاسفتنا حول فكرة الموت ومن بينهم:

الإمام الغزالي: انتقد الفلاسفة من حيث آرائهم فكرة النفس، فهو يرى أن الصور لا تبقى بعد فناء الجسم، وقد قسم النفس إلى ثلاثة طوائف في قوله الطائفة الأولى: "هي تلك النفوس التي اشتدت تعلقها بالرزيلة وجحدت الحق وتعصبت لآراء فاسدة تلك النفوس تخلد في النار"¹. فهاته الطائفة بعيدة عن ذكر الله محبة للذائل هائمة في الفساد فهي في الآخرة تخلد في النار وعذابها، أما الطائفة الثانية فيقول عنها "مرتكبوا الكبائر ونفوسهم شغلت عن طلب المعرفة وتطهير القلب من إرادة الرذيلة وهم لا يخلدون في النار يعذبون فيها حتى تتطهر نفوسهم"².

فهذه الطائفة قد ارتكبت الكبائر ولم تطهر قلوبها بذكر الله تعالى لكنها لا تخلد في النار بل تتعذب حتى تتطهر مما اكتسبته من رذائل في دنياها وتتخلص منها وبهذا تصل إلى السعادة، والطائفة الأخيرة هي طائفة النفوس "التي تكتسب الشوق ولم تحن إلى المعارف فإنها إذا فارقت الأبدان وهي غير مكتسبة للذائل فإنها تصبر إلى سعة الله تعالى وتخلد إلى الراحة في الدار الآخرة"³ هذه الطائفة هي طائفة عملت خيرا في حياتها، اكتسبت الشوق للقاء الله تعالى فهي إذا فارقت البدن لا تتعذب في النار بل تخلد في عالم الفردوس في راحة أبدية من دون أن تتطهر لأنها لم تمت وهي مكتسبة للذائل.

الفيلسوف ابن رشد: الذي يقول: "إن العقل الفاعل العام من صفاته أنه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الإنسان"⁴.

¹ محمد عبد العزيز المعايطة، الفلسفة الإسلامية، دار حامد، ط1، عمان، 2، الأردن، 2008، ص219.

² المرجع نفسه، ص220.

³ المرجع نفسه، ص222.

⁴ فرح أنطوان ابن رشد، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2009، ص101.

ونفهم من خلال مقولاته أن للإنسان حياتين: حياة الدنيا وحياة يعيشها بعد الموت، والعقل الفاعل هو المصدر الأول الذي يستمد منه العالم القوة فهو. أما العقل المنفعل فهو الإنسان نفسه أو بتعبير آخر العقل الذي في الإنسان فهو عقل غير خالد يفني مع فناء الجسد.

العقاد في الفكر الحديث: -يرى العقاد أن "جميع الأديان تتفق بوجود حياة ثانية بعد الموت ويرى كذلك أن الفلاسفة الغربيون يؤمنون بحياة ثانية"¹.

فالعقاد يقول بأن النفس لا تفنى ولا تنحل بل تبقى كما هي ويؤمن العقاد أن القرآن الكريم فرض على المؤمنين الإيمان بعقيدة الحشر أي يوم الحساب لذلك هم يؤمنون بحياة أخرى بعد الموت والنفوس في رأيه تحتاج إلى العيش حياة ثانية رغبة منها في التطهير مما ارتكبه في الحياة الدنيا.

2- الفلاسفة الأجانب

تختلف آراء الفلاسفة عن آراء الفلاسفة العرب حول الموت وهذا لطبيعة اختلاف الدين ومن بين هؤلاء الفلاسفة نذكر

سقراط: - يذهب سقراط " أن لا شيء يمكن أن يمسننا إذا لم نعد على قيد الحياة لأن عندئذ لا نحس الأشياء ولا ندركها ولا نعيها"².

فسقراط يرى أن الموت ينهي إدراك الإنسان بالعالم المحيط به وهو هنا يذكرنا بأبيقور وفي محاوره "الدفاع" يرى سقراط "أن الموت خير بالنسبة لنا لأنه شديد الشبه بحالة أفضل وألذ بكثير من أغلب الحالات الأخرى"³، فالموت بالنسبة له أفضل للإنسان لأنه تجربة تختلف عن تجارب الإنسان الأخرى وأفضل منها.

¹ عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار صيدا (د.ط)، بيروت، لبنان، ص172.

² مجدي الكيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية المكتب الجامعي الحديث (د، ط)، الإسكندرية، مصر، 2009، ص196.

³ ينظر، المرجع نفسه، ص240.

أما أفلاطون فيقول: " أنه إذا صح أن النفس التي تولد في هذه الدنيا أتت من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه بعد موت سابق وأن الأحياء يبعثون من الأموات فإن النفس لا تموت بموت البدن والحياة تبعث من الموت"¹.

فهو يرى أن النفس المولودة في الدنيا أتت من عالم آخر، أي الإنسان إذا ولد حديثاً فهو أتى من عالم ذهب إليه بعد موت، ويقول أن الأحياء أتوا من الأموات، فالنفس تبقى حية لا تموت عكس، فمهما اختلفت الأزمان تبقى النفس حية والأبدان تموت وترجع تلك النفس لتبعث من جديد في بدن جديد.

فرويد: - له رأي خاص حول قضية الموت، فهو يرى أن مبدأ الموت هو الذي يحكم الوجود الإنساني كله، وأن غاية الحياة هي الموت فيقول: "إن ميل الثروات للعودة إلى حالتها الأصلية الموت يكرس من أولوية نزوة الموت وانتصاراتها"². كما يرى أن موقف الإنسان من الموت هو موقف اللاوعي وهذا موقف الإنسان المتحضر، وموقف الإنسان البدائي هو إنكار الموت.

وهما موقفان متشابهان ونجد هذا في قوله: "أن وعي الإنسان المعاصر غير قابل لفكرة أن الإنسان مقدر عليه الموت، وموقف الإنسان البدائي إنكار الموت فهو لم يعتقد أنه سيموت حقاً"³ ولكن الإنسان في كثير من الأحيان يجد في الموت الحل الأمثل للصراعات التي تتسبب في تعاسته واغترابه. فثروة الموت جعلت الإنسان يحييه لكي يعود إلى عالم السكينة والاستقرار هروبا من المشاكل والاضرابات والتوتر.

فرانكل: نجده يوضح أن بداية القلق الوجودي سببه الموت فالإنسان في حيرة من الحياة بعد الموت، وفي نفس الوقت نجد الإنسان يخاف من الحياة ويقول أنه لو لم يكن عمر

¹ مجدي الكيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث (د، ط) الإسكندرية، مصر، 2009، ص244.

² فيصل عباس، التحليل النفسي وقضايا الإنسان، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص116.

³ ينظر، المرجع نفسه، ص117.

الإنسان محدود، لكان بإمكانه تأجيل الأشياء، وأنه ليس بحاجة لاتخاذ القرارات واتخاذ المسؤولية ولهذا يرى أن وجود الإنسان وحياته مبنية على عمره المحدود. يقول فرانكل: "عش كما لو كنت تعيش للمرة الثانية وكنت قد أسأت التصرف في المرة الأولى، وتوشك أن تقع في نفس الخطأ الآن"¹ فهو يدعو الناس إلى عيش حياتهم وكأنهم عاشوها وماتوا، ثم بعثوا من جديد فدعاهم للابتعاد عما اقترفوا في حياتهم من خطايا، والانتباه لعدم الخطأ أو الوقوع في الأخطاء التي أخطئوها في حياتهم الأولى فمعنى وجود الإنسان مبني على نهايته المحدودة.

مفهوم الحياة من وجهة نظر الفلاسفة

تعتبر كلمة حياة من الكلمات المتعددة الأوجه، والتي يمكن استخدامها استخدامات عديدة وذلك حسب مجال الكلام وحسب نوعه، فقد تدل لفظة الحياة على كل الأحداث الجارية التي تحدث على وجه الأرض وتتشارك فيها كل الكائنات الحية. كما قد تدل على الفترة التي يعيشها كل كائن حي والتي تكون بين ولادته حتى لحظة موته ولحظة انقطاعه... وغيرها من الدلالات.

وتعرف الحياة فلسفياً: "على أنها الغاية والهدف من وجود الإنسان والفائدة التي تعود عليه من الحياة لذا فالحياة عند الفلاسفة هي التوحيد والدين، الفلسفة والتأمل، الوعي والتفكير، العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، الفرح والسعادة، القيم والأخلاق وغيرها. فنلاحظ أن للحياة دلالات عدّة وآراء كثيرة حول مفهومها لذا نجد الفلاسفة يبحثون في تعريف للحياة كما نجد أنهم يتساءلون عن سبب وجودنا في الحياة؟ كانت هناك أكثر إجابة قاموا بوضعها واختلفوا في ذلك.

¹ عبد الفتاح محمد الخولجا، الإرشاد النفسي والتربوي، دار الثقافة، ط2، عمان، الأردن، 2009، ص126.

1 * مفهوم الحياة من وجهة نظر أفلاطون

يعد أفلاطون من أوائل الفلاسفة الذين آثروا بشكل عميق بعدهم، اشتهر أفلاطون بدرجة كبيرة بسبب نظيرته التي تقترح أن هناك عوالم أخرى مختلفة، كما أن أفلاطون يتميز بمثاليته.

قام باقتراح نظرية توضح مفهوم الحياة، وهي نظرية المثل الأفلاطونية والتي ترى أن العوالم لا توجد على شكل فيزيائي مثل: الأشياء، بينما توجد على شكل روحاني. كما يقول أفلاطون أن الحياة في مفهومها هي عبارة عن وجود أعلى شكل معرفي، كما أن الحياة تعد نموذجا للخير.

2 * من وجهة نظر كلود برنار

يرى هذا الفيلسوف أن الحياة لا يمكن أن يكون هناك تعريف شامل لها. بينما يرى أننا من الممكن أن نقوم بوصف الحياة، ولكنه ليس باستطاعتنا أن نجمع مفهوم الحياة.

3 * شورينهاور وتعريف الحياة

لقد ربط هذا الفيلسوف الحياة بالوجود الإنساني، كنا يرى أن هذه الحياة ليس لها معنى بينما هي فوضوية. وقد أثر هذا الرأي في مفهوم الحياة على نيتشه.

4 * مفهوم الحياة لدى إيميرسون

يؤمن إيميرسون بأن الله موجود في كل شيء، وفي كل شخص، حيث أن هذا الفيلسوف يرى التعريف الحقيقي للألوهية، وأن الله موجود في كل ما يحدث لنا، ويرى أن حياتنا تمتلئ بالنعمة الكثيرة.

5 * هنري ديفيد ثورو

كان هذا الفيلسوف من أتباع إيميرسون وهو فيلسوف مشهور بأن له الكثير من الكتابات الفلسفية.

قرر هذا الفيلسوف أن يعيش في الغابة ببساطة، ويبدأ في مقارنة الحياة بالحياة في العالم الحديث...

يعرف مفهوم الحياة بعيدا عن التكنولوجيا، حيث يرى أن التكنولوجيا لا تكون طريقا لإيجاد معنى الحياة.

*6 جون ديوي ومفهوم الحياة


يرى أن التعليم هو ما يعطي معنى للحياة
ولذلك فهو يرى أن الطالب عندما يتعلم من أجل التعليم وليس من أجل تحضير
الوظيفة فإن ذلك يدل على أن حياته له معنى.

وبذلك أن هذا الفيلسوف يرى أن الحياة معناها يكمن في التعليم بصورة كبيرة.

*7 فيتنجشتاين ومفهوم الحياة

يرى أن مفهوم الحياة في الحقيقة لا يمكن أن تتعرف عليه بشكل جذري.
كما أننا لا نستطيع أن نعلم كيف نشأ العالم ولا كيف وُجد من الأساس¹.

¹ Boba adham | تعريف الحياة فلسفيا www.haeaty.com 19ماي 2023 / 8:00



الفصل الثاني

موضوعات الموت والحياة في رواية

- فلسفة الموت والحياة

- موضوعات الموت

- موضوعات الحياة

- الموت حياة

فلسفة الموت والحياة

إن من أعمق الفسلفات وأعمد الأفكار هي حقيقة الموت فكلاهما أثار الجدل نظرا لارتباطهم المصيري بالإنسان وهما أكثر الثنائيات الضدية تكرارا في القرآن الكريم لقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}. الملك 2.

وجاء في تفسير الآية أي أوجدهما وقدرهما أزلا لهذا سيظل مفهوم الحياة والموت أحد أهم أسرار خلق الإنسان التي قدرها الله عز وجل في تقديره في شأن الإنسان وغيرهم من المخلوقات ولتبسيط الفكرة أو بيان كل أبعادها كانت عن طريق الأنبياء وقد عرفت كل الشعوب حقيقة الموت والحياة لكن هناك أمة واحدة تعرف كيفية الموازنة بين الحالتين المرئية و اللامرئية هم المسلمون ذلك لأن نبينا هو الإنسان الوحيد الذي عاش التجربتين حين نقل رسالته في رحلته للإسراء والمعراج وأن الإيمان بالقدر رغم بساطته ووضوح الشواهد عليه إلا أنه معقد ويصعب فهم فلسفته وخير دليل عندما جاء جبريل عليه السلام وجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فبقدر ما كانت الإجابة سهلة فإن هذه الأسئلة هي أهم ثلاثة أسئلة في الكون وإجابتها وتتطلب يقينا وإيمانا في تشكيل فلسفتنا الحياتية ونحن الأمة الوحيدة التي تجد الموت طريقا للحياة ومهما عشنا فسنموت وأظن أن كل واحد منا قد جرب توديع عزيزه عليه في رحلة سفر إلى مكان آخر فما كان شعوره في تلك اللحظات؟

ستختلط المشاعر بين حزن يرافقه الفرح وقد يكون حزنا طاغيا يجتاح الروح ويجعل الدموع مطرا متساقطا ينهمر على الخدين هذا بالنسبة للرحيل المؤقت فما الحال بالنسبة للموت الذي هو سفر طويل لا عودة منه هنا المعادلة تختلف وستكون المشاعر مشاعر حزن وألم لا غير سيظل يجمعنا مع الميت ذكريات ربما لا نستطيع الإمساك بها إلا في زوايا الذاكرة، وقد ناقشت الفسلفات والديانات قضايا الموت والروح وعالم ما بعد الموت

وشغلها آلاف السنين ومازالت تشغلها وعلاقتها بالحياة والمسؤولية كل هذا في إطار فلسفة الموت والحياة.

موضوعات الموت

1- الموت الحقيقي

يعرف الموت بأنه التوقف الكلي للوظائف الحيوية من النمو والتنفس والأكل والشرب ومن هنا نرى أن الموت هو النهاية لكل شيء كان حي وباعتبار الرواية المرآة العاكسة لواقع المجتمعات فقد عكست هذه الرواية (عائشة تنزل إلى العالم السفلي).

الصراع والتناقض والماضي والحاضر وبين الواقع المتخيل الواقع المستحيل

وعبرت الروائية عن الموت بلغة فنية سهلة وبسيطة غلبت على المفهوم المرعب وذلك من خلال دقة الوصف والتعبير عن كل ما يتركه الموت من مشاعر وأحاسيس داخل كيان الإنسان فالموت هو ظاهرة اجتماعية وإنسانية بالدرجة الأولى.

والرواية التي نحن بصدد دراستها تحمل تعبيراً ووصفاً دقيقاً لما عانتها شخصية عائشة التي تصدمنا منذ الأسطر الأولى في الرواية بقولها: أنا عائشة سأموت خلال سبعة أيام وحتى ذلك الحين قررت أن أكتب.

هذه العبارات حملت مفاجآت للمتلقي فالبطلة عائشة تقرر مسبقاً جدية أنها ستموت بعد سبعة أيام وستقضي هذه الأيام في الكتابة عن كل شيء في حياتها وما يدل على ذلك من الرواية قولها (هذه كتابة مودع ولكنها ليست وصية الوصية تقتضي اليقين وأنا لا أملكه لا أملكه لا أملكه إلا القلق والحاجة الغريبة إلى الكتابة كل شيء لفظ كل شيء أنا لا أكتب أنا أرفض هراء العالم وحسب أريد أن أكون صفاء عندما أرحل أكثر خفة وشبهها بروحه لعلي أتلامس معه هناك في النور)¹.

¹ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى عالم السفلي، الدار العربية للعلوم الناشر، الطبعة 14، ص 22.

وقد قررت الموت لأن صغيرها قد مات (لقد مات ولدي فعلا ولا توجد طريقة صحيحة أو كلمة صحيحة تفسر ميته طفل¹).

وذلك بعد رؤيتها له وممدد في الطريق نتيجة حادث مرور ولكما حلت ذكرى وفاته اشتعل قلبها بالحزن الشديد الألم الذي يجعلها تفكر بأن الحياة لا معنى لها ومن الرواية ما يدل (في 18 من أبريل من عام 2007 توفي العزيز ولدي الوحيد عن عمر يناهز الخامسة والنصف بفعل حادث سيارة وهو يقف في وسط الشارع ويحاول التقاط لعبه)². فتقرر بعدها موتها دون ذكر الكيفية ولا شكل النهاية.

ولا شك أن النظر العميق في أحداث هذه الرواية، يحينا إلى اكتشاف الجانب النفسي الذي ارتبط بالشخصية وكأن عائشة تبحث عن من يدعمها في حزنها ويجعله أكبر في قلبها فعائلة عائشة التي ضمت خمسة أفراد عانت وعاشت الموت بنوعيه سواء النفسي أو الفعلي.

بداية بمريم التي تفقد أولادها بمجرد ولادتهم قائلة: (أنا لم أحظ بنصف ولد حتى، كل أطفال يولدون أمواتا)³.

وأختها إسرائ التي لم يتم زواجها إلا شهرين فتقول: (أنا لم يتم زواجي إلا شهرين أقصد 57يوما)⁴.

هذه العبارات جاءت لتخفيف عن عائشة وتذكرها بأن كل ما هو حي مبتلى فهناك من ابتلى بالأولاد وهناك من ابتلى بالأولاد وهناك من ابتلى بالمرض وهناك من ابتلى بالموت.

¹ الرواية، ص17.

² الرواية، ص20.

³ الرواية، ص158.

⁴ الرواية، ص158.

وعدنان هو أحد أهم الشخصيات في الرواية فقد مد يد العون لعائشة لتخرج من عزلتها محاولاً إعادة الشغف الحياة لها بعد فقدان ابنهم (لا بد وأنك كنت وحيدة وبأئسة أنا لا ألومك كل ما أريده أن نتكلم كالأزواج أو كالأصدقاء دعينا نتحدث مع بعضنا أكثر)¹.

هذه العبارات تدل على ثقة عدنان بنفسه وأنه يستطيع أن يعيد عائشة كما كانت ولكن عائشة لم ترى هذا الدعم بأنه محاولة لإنقاذها من أفكارها التي ستحققها يوماً بل رأته وكأنه لم يتعاطى مع موت ابنه بشكل صحيح قائلة له: (هل الأمر حقاً بهذه البساطة بالنسبة لك وكأنك لم تدفن بعضك في ذلك القبر)².

فعائشة لم تتقبل موت ابنها وحاولت إلقاء اللوم عليه والعتب لكن عدنان قابلها بأن عزيز لم يكن سعيداً معهم كفكرة لرجوعها عن لوم نفسها وقتلها.

وقد حاولت عائشة الانتحار مرات عديدة في كل ذكرى وفاة ولدها أي في الثامن عشر من أبريل من كل سنة وكانت أول مرة بسبب الكهرباء (جربت الموت الأول مرة بسبب مرور الكهرباء في جسدي كان ذلك في ذكرى وفاة ولدي الأول)³، ولم تريد الرجوع للحياة بعدها وظننت نفسها تتوهم لدرجة أنها لم تحس بالألم وشعرت نفسها خفيفة تطير اليومات الصور.

وحين أفاقَت أكدت لزوجها عدنان الذي أسعفها بأنه قليلاً لكنت ماتت واحترقت ولحقت ابنها (لقد أسعفني عدنان راح يضغط على قلبي مرارا حتى عاد إليه النبض ولفني بالبطانية وانتظرنا معا وصول سيارة الإسعاف، عدنان يظن بطلي المنقذ)⁴.

¹ الرواية، ص 70.

² الرواية، ص 73-74.

³ الرواية، ص 48.

⁴ الرواية، ص 50.

هنا تؤكد عائشة بأنها لم تكن تريد العودة للحياة ثم تردد قائلة بأنها لم تنتحر بل أن الحياة لم توهب لها ولها الحق في إنهاؤها متى ما أرادت ذلك وفي الرواية قولها (أنا لم أنتحر وبقدر ما أريد أن أموت فأنا لا أريد الانتحار)¹.

كل محاولات عدنان في إخراجها من عزلتها باءت بالفشل وآخرها عند عزيمته لها ليحدثا عن حياتهما قابلته بالحديث عن القبور والأموات وأساليب الدفن عند المصريين والجملة التي على لسانها بأنهم أموات وهذه حقيقة دينية (أَتَلَك مَيِّتٌ وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ) الزمر، 106².

واستنتجت من موتتها الأولى بأن الموت هو السبب لجعلها تكتب ومن الرواية ما يدل على ذلك (الموت هو السبب والفن هو نتيجة كل إنتاج أدبي وجمالي كتب بتحريض صريح من الموت كل الشعراء يكتبون موتهم الخاص إما خوفا من الرحيل أو استعجالا له)³. ويفضل الموت استطاع الإنسان التقلّص فيه فنحن كبشر يسحرنا العالم السفلي).

والموتة الثانية كانت بعد عامين من وفاة عبد العزيز أي 18 ابريل عام 2009 وقتها تعرضت عائشة لتسمم غذائي وادعى عدنان بأن لها هيولا انتحارية وما يدل على ذلك (قبل أسبوعين تشاجرنا عدنا يدعي بان ميولا انتحارية يسألني كيف أن أتأكد من أنك لم تمسكي بأسلاك الكهرباء عمدا وكيف يمكن أن يأكل اثنان من نفس الطبع ويتعرض أحدهم لتسمم غذائي والآخر لا)⁴.

أما الثالثة والأخيرة فقد قطع عدنان من عائشة الأمل بأن حالتها النفسية مستقرة وقد طلب منها أن تراجع عيادة الطب النفسي فهو لم يصدق بأن السيارة دهستها بغير قصد وخاصة أنها كانت واقفة بين أختها مريم وأمها فكلاهما لم يصبهما أي خدش.

¹ الرواية، ص62.

² القرآن الكريم، الزمر، الآية(30)، ص106

³ الرواية، ص65-66.

⁴ الرواية، ص24.

2- الموت الأسطوري

لقد اشدت اهتمام اللاهوتيين المسيحيين في السنوات الأخيرة بإعادة الأفكار التاريخية وذلك بمساعدة الأبحاث الحديثة ولأن غريزة الموت تعبر عن محاولة العودة إلى حالة ما قبل الوجود فإن الانتحار كان أفضل طريقة، فهو موجه من المنتحر إلى الآخر كعتاب أو تنبيه وبذلك فإن الأسطورة تزود الإنسان بذاكرة تاريخية تعطيه إحساس بوجود مبرر لحياته وبدون هذه الذاكرة يصبح شبيها بالموتى ونسيان الماضي يعتبر نوع من أنواع الموت (فالموت نسيان والموتى الهابطون إلى العالم السفلي في الميثولوجيا الإغريقية يشربون في طريقهم من نبع لكي يقضوا حياة الآخرة بدون ذاكرة أي دون تاريخ)¹.

ولهذا فقد وجد الإنسان نفسه في مواجهة الموت فابتكر نسقا أسطوريا معتمدا على ملكته الوجدانية والعقلية ولا الشعورية وإن من الأساطير التي استعانت بها عائشة الأسطورة إنانا.

التي لعبت أعظم دور بين الآلهة وهي التي أسماها الأكاديون ثم البابليون بعشتار وقد ظهرت عبادتها في أوروك ولها معبد هناك ويذكر أن لها ثلاث صفات ويمكن أن نحدد لها بدقة (ثلاث صفات ثابتة الأولى أنها إلهة الحب والإغواء والجنس والجمال والثانية أنها إلهة الحرب نزعات التدمير والقتال والثالثة أنها نجم الزهرة الذي يسمى بنجمة الصباح أو نجمة العشاء)².

لذلك هي من أعظم الأساطير التي أعطاها الباحثون دورا كبيرا في الدراسات. وقد رأت عائشة بأن إنانا الآلهة (قد نزلت إلى العالم السفلي واومات إليها)³. ولم تدري عائشة هل إيماءاتها لها إيماءة لقاء قريب أم ماذا نامت دون أن تنتبه.

¹ عبد السلام مساوي، فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية، 1997، ص1.

² الحسيني الحسيني معدي، الأساطير السومرية، كنوز للنشر والتوزيع، ط(1)، 2012، ص79.

³ الرواية، ص62.

وعند استيقاظها قررت عائشة الخوض في متاهة الموت عبر دخولها للبوابات السبع وذلك بدعوة من إنانا ولأن روحها تآقت للأسفل العظيم وقد تركت الزوجة والأم والأخ وأثاث الحياة الدنيا وزهرتها وأصبحت إنانا صديقتها أزلية الحضور وأشبكت يدها بيد صديقتها ووضعت رأسها على كتفها وقالت لها يا مصدر عوني الدائم يا ملهمه كلماتي الحقبة أني لهابطة إلى العالم السفلي إلى أسفل العظيم.

فدخلت البوابة الأولى التي هي عتبة العالم السفلي وإنانا حارسته واقفة عند الباب وفور دخولها طلبت منها خلع جلد المكان عنها بإثائه ورائحته وتفصيله وطلبت منها عدم مناقشة ما تامرها به ومن الرواية ما يدل على ذلك.

(أي عائشة لقد صيغت قوانين العالم الأسفل بعناية واكتمال فلا تناقشي يا عائشة الجدران جغرافيا الذاكرة وعنوان عزلتك كوني الأثير تعري يا عائشة من فخاخ اللون وفتنة الرائحة انخلي روحك حتى تصفى من الوجوه من الذكريات كوني خارج البرواز اكسري الإطار يا عائشة وتخففي منك من أنت الآن الروح في عريها جوهر وشيك)¹.

هذه العبارات تدل على أن انان تحاول أن تجعل عائشة وكأنها ولدت حديثا وذلك من خلال مسح ذاكرتها وكل ما يتعلق بما تركته وراءها

ثم التحقت بالبوابة الثانية وهي عتبة أخرى نحو عرائش العتمة وطلبت منها ألا تحس بالزمن لأن (الزمن أول محرض للوعي وأول سؤال للإنسان)²، وأن تخرج إلى الأبدية وتحلق هناك.

وماهي إلا لحظات وقد صارت عند عتبة البوابة الثالثة والتي هي مزيد العتمة ذات البريق وهذه المرة تطلب إنانا من عائشة أن تخلع عنها عائلتها وبالأخص والديها ومن الرواية ما يدل على ذلك (والدك هما جنورك الممتدة في بطن الأرض حبلك المتوغل في سرة

¹ الرواية، ص 219.

² الرواية، ص 220.

العالم الحزن العش الدفئ كوني أكثر جسام يا عائشة وحلقي خارج وجودك تخلى عن والديك¹.

وهذا بمثابة شرط عليها كي تبدأ بداية التي تريدها لذلك عليها أن تخفف من أثقالها الأرضية.

أما عند البوابة الرابعة أين أصبحت العتمة بيضاء وتسمع أغنية العالم تنبثق من داخلها وكأنها تقول لها أدخلني يا عائشة وفي دخولها طلبت منها إنانا أن تخلع عنها أخيها وأختيها.

(الأخ ركن الروح زاويو الذاكرة مفصل الذكرى الأخ عمود في روحك فأنقذيه وأمضي تخففي من كل ما هو داخل عليك ولو كان جميلا كوني أنت فقط كوني حريتك)².

وفي بوابة الموت الخامسة رأت عائشة في نهاية الطريق فراشات الضوء الملونة وطلبت منها إنانا أن تتزع زوجها وإن تتركه مع إرثها الأرضي وأن تمضي خفيفة طليقة لكن عائشة أخبرتها بأنها وهي وزوجها عدنان متشابهان.

هنا نرى بان إنانا ترى أن الزواج رباط والرباط قيد والقيد هو الحجاب فإذا أرادت عائشة الحرية فما عليها إلا الطلاق.

أما في بوابة الموت السادسة ترى أن الضوء يكبر والكوة تتسمع، وعند دخولها طلبت إنانا من عائشة أن تخلع الشيء الذي تحبه ألا وهو الكتابة وإن تتركها وراءها بدافع أن (الكتابة ينبوع السؤال وماء القلق والكتابة هي قفلة السكون وهزهزت الثبات وترويع المطمئن)³.

وفي بوابة الموت السابعة والتي هي آخر عتبة للرحيل ترى عائشة في نهاية الطريق، العدم ولكن شرط عليها كي تدخل أن تتخلى عن جرحها الصريح أي ولدها وذكره

¹ الرواية، ص 221.

² الرواية، ص 222.

³ الرواية، ص 223.

وذلك لتخفف على نفسها وأن كل العلائق التي تركتها في البوابات السابقة كانت لأجل تهيئتها للعلاقة الكبيرة وهي ذكرى.

وبعد هذه العقبات ترى عائشة نفسها أنها جاهزة لبداية جديدة فإنانا عندما خلعت صولجانها وتاجها وثيابها وحليها أصبحت خفيفة وكذلك هو الحال بالنسبة لعائشة فعند تجريدتها من المكان والزمان والذاكرة والعائلة والحب استطاعت أن تكون هي نفسها وتخلصت من قيود الزوجة والأم والابنة وهي الآن تحس بحقيقتها الروحية وليست بحاجة لتموت لتشعر بذلك.

هناك حكمة قديمة تقول: أن علي أن أموت لكي أولد من جديد برأيي أنها تنطبق على هذه الرواية وما أرادته الروائية أن يصل إلينا فنحن كبشر طبيعتنا تريد الخلود ونسينا أن لكل بداية نهاية وبداية حياتنا نهايتها الموت وتأبى أن تتكلم عنه أو تصادفه خلال حياتنا لكننا في الوقت نفسه نتعذب نتمنى أشياء ولا تحصل وتتألم لدرجة نتمنى فيها الموت، لكن إذا حان وقته نهرب فنحن لا نعرف أنفسنا هل نحن في الحياة أو الموت.

إذا فالموت لا يعني نهاية الحياة بل هي بداية أخرى.

موضوعات الحياة

تمر علينا كثيرا من اللحظات نشعر فيها حقا أن الدنيا لا تساوي شيئا، كلنا تقريبا قد جرب هذا الإحساس، قد تختلف الأسباب ربما بسبب موقف ما أو حدث في لحظة غير مجرى حياتنا وتفكيرنا، فتتضح الحقيقة وندرك لحظتها يقينا أن الدنيا فعلا لا تساوي شيء.

فما بين الحياة والموت إلا لحظات لحظات تأمل طويلة بين توقيتين مختلفين بل متناقضين، توقيت يمنح هبة الحياة وآخر لرجوع الأمانة إلى بارئها، لقوله تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"¹. الزمر 42.

¹ سورة الزمر، الآية 42.

وقوله تعالى: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"¹.
الأعراف34.

رغم أننا نفقد كل يوم أحبة من أهل وأصدقاء في الحياة إلا أن موتهم يجعلهم أحياء فينا، أرواحهم مدفونة في قلوبنا، كلماتهم، أصواتهم صورهم أحاسيسهم ذكرياتهم، رغم الأيام والسنين إلا أنها تبقى خالدة في ذاكرتنا وكأنهم لم يرحلوا عنا، فالموت حياة نعيشها والحياة موت ننتظره، فالموت جزء لا يتجزأ من الحياة هو قول مفهوم... الموت واضح، الحياة ملتبسة، الموت بسيط، الحياة معقدة، الموت غريب يفتن الصغار والحياة عالم مخيف يرعب الكبار².

بعد الحديث عن الموت والإحساس بالذنب الذي عاشته عائشة يأتي الدور للحديث عن بدايات إشراقه أمل والتشبث في الحياة مرة أخرى، لقولها: وأخيراً... نجحت بأن أعيش يوماً عادياً نجحت لأول مرة!...

عرفت بأن الحياة تحتاج إلى المران، بأن الانسياب في تعاريفها وأنفاقها ليس أمراً سهلاً تلقائياً، وهيناً كما يخيّل لنا، كان على أن أتعلّم كيف أعيش.

فالحياة ليست معطى في تلك المعادلة الحياة هي الناتج النهائي، قررت أن آخذ الطريق إلى البحر وبسلاسة كنت أنساب في "شارع الخليج العربي". وكانت مياه الخليج فيروزية مطعمة بالتبر، قطعت الشارع مرتين ذهاباً وإياباً لا أسمع إلا صوتي الداخلي أسألتي التي تبعث من مرقدتها وقد أمنت في النظر إلى البحر حتى خيّل إليّ بأنني أتنفّس ماءه وأتعمد فيه، لم أكن نفسي كنت تلك الأمواج...³

¹ سورة الأعراف، الآية34.

² بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط4، 2012، ص28.

³ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي، الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط 4.14، 2012، ص92-93-

"كنت أرتوي وأحس بالكون يرحب بي لأول مرة... هل يمكن، بعد كل هذا الألم، أن تكون الحياة ممكنة حقا؟"¹.

فمن يمنح معنى للحياة يمنح معنى للموت ومن استوعب الحياة تصالح مع فكرة الموت وبذلك يكون موجودا في واقع جديد وهو واقع الموت للحياة، أي أن الحياة التي تلد فينا من الموت مختلفة تماما عن التي نحياها، هذا ما أرادت الروائية أن توضحه وتصفه وتفسره لنا من خلال شخصية "عائشة" وبقية الشخصيات التي اشتركت في الألم والمعاناة، عائشة التي اختارت الكتابة، كتابة مذكرات منذ وفاة ابنها تكتب لعل حزنها يخبو فقد كانت الكتابة الصديقة الوحيدة إلى حياة جديدة وحرية وتقبل للواقع.

1- الكتابة

"يكتب بعضنا لمن ماتوا ولا يدري أن قراءه في المقابر ويكتب بعضنا لإرضاء معاصريه حاسبا أن في ذلك العظمة والخلود فيخطئ المرمى ويكتب بعضنا لأنه إن لم يكتب يمت وهذا من الخالدين".

فما الكتابة إلا تعبير عن أفكارنا الخاصة، فالإنسان اليوم هو حر ومتحرر فكريا بإمكانه أن يصوغ موضوعات في مختلف الجوانب خاصة بالنسبة للمرأة التي طالما عرفت واتصفت بالصمت وإخفاء مشاعرها أمام الآخرين، هذه المرأة التي وجدت من القلم ضالتها ومن الكتابة راحتها في وجه ألمها لفقدائها فلذة كبدها.

"فالماضي والحاضر وجهان لعملة واحدة فنحن لا يمكن أن ننسى ونتجاوز الماضي لأنه يعيش فينا ولا يمكن أن نوقف الحاضر لأننا نعيش فيه فقط الكتابة هي التي تربطنا بكليهما، وبالكتابة يفصح الإنسان عن الأمة ومكبواته وأوجاعه النفسية، هي الصوت الجريء لكل من يخجل من قول مشاعره هي أصوات ننطقها عبر أيدينا من أعماق قلوبنا،

¹ نفسه، ص 93-94.

وبذلك يكون الإنسان قد أزاح حملا كبيرا ليصبح ذلك الألم والحزن عبارة عن يوميات،
ذكريات، كلمات، في مجموعة أوراق مكتوبة بلغة الوجد والألم¹.

أي أن لكل إنسان ماضي لا يمكن نسيانه لكن يمكن أن يتجاوزه بطرق عديدة
كالكتابة مثلا فهي وسيلة خاصة قد جعلنا نفصح عن آلامنا ونتجاوزها فهي أداة للراحة
النفسية، الطريق نحو التغيير هي الحرية والسلام الداخلي لذا فـ "الكتابة متعة لذلك يمتنها
القديسون والمفكرون الكاتب يبتكر حياة جديدة في الفراغ ينقر على الصمت لكي يصنع
صوتا يثبت المكان والزمان على صفحة من حرير ويسكب نهرا من قلب صغر الحجم حيث
تلد الكلمات كلمات وتثير الأفكار أفكارا أعمق"².

فالكتابة هي الطريقة الأفضل للتخلص من الألم هي المكان الذي لا نحتاج فيه إلى
موعد مسبق.

نكتب من أجل أنفسنا، "لقد قررت أن أكتب لأني لأكتب لأن الأشياء لم تعد مفهومة أو قابلة
للتفسير"³.

ما أرادته الروائية بثينة العيسى أن يفهمه القراء من خلال شخصية عائشة التي فقدت
ابنها في الثامن عشر من أبريل 2007 توفي عبد العزيز بعفل حادث سيارة، ليترك والدته
عائشة بأحزانها ووحدتها وتكتب لعل حزنها يخبو، صارت الكتابة صديقتها الوحيدة، هي
تكتب من أجلها من أجل الجرح الذي بقلبها، تكتب لأنها تريد أن تكون واضحة مع نفسها،
لأن الصراع بين الحياة والموت الموجود في كل إنسان فينا يحتاج إلى ورقة وقلم وكلمات

¹ عبد اللطيف الصوفي، فن الكتابة أنواعها مهارتها أصول تعليمها، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص17.

² توني بارنستونو تشاوبينغ، ترجمة، عابد إسماعيل، فن الكتابة تعاليم الشعراء الصينيين، دار المدى للثقافة والنشر، 2014،
ص12-13.

³ بثينة العيسى عائشة تنزل إلى العالم السفلي، الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط14/04/2012، ص19.

فقط، "ماذا تحبين يا عواشة؟ أنا... أنا لدي ما أفعله وماذا يكون ذلك؟ سوف أكتب الكتابة هي ندائي"¹.

عائشة اختارت الكتابة كصديقة لها في وحدتها، لتكون لها كمنديل تمسح به دموع الحياة، ولتكون ملجأ بروحها "فالكتابة باتت تملكني، وأنا رهن اعتقالها، سأكتب سأدخل مضمار البكاءات الطويلة وأكتب... الكتابة شكل من أشكال الاعتراف، أو على الأقل هذا ما تبدو لي عليه الآن، بات مستحيلا علي أن لا أعترف بخوفي إنني ارتعد كل جزء مني يرتعد"².

فالحياة بمآسيها ومصاعبها سواء التي نكتبها على أوراقنا أو التي يكتبها القدر على واقعنا تبقى مجرد حياة لا تستحق الانهزام والانهيار والاستسلام، "يقول الفيلسوف الهندي سينكا من لا يملك إرادة الموت لا يملك إرادة الحياة!".

فما الحياة إلا لحظات، تأتي فيها مصاعب وترحل، تموت ضحكات تولد أخرى، يذهب البعض يولد آخرون، إذا علينا أن نعيش.

هذا ما أراده معاذ من أخته عائشة، نحن نعلم أن الحياة هذه ليست هي الحياة الأبدية لكن يجب أن نعيش اللحظات التي بقيت من أعمارنا فمعاذ كان هو مسكة اليد لعائشة، لقولها: "ما كان أروعه وهو يخبرني في كل لحظة بأنه موجود لأجلي كل حصوني/ قلاعي/ أسواري أخايد عزلتي كل شيء ينهار أمامه لمسة يد"³.

"الساعة الآن تجاوزت التاسعة مساءً أظلمت الأرض، سأكتب إذن عن هذا الجرح...، وكل ما أنا بصدد كتابته لماذا أكتب إذن؟ لأن الاحتراق في صمت لا يحتمل ولم يعد

¹ الرواية، ص 140-141.

² نفسه، ص 165-168.

³ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط 2012، ص 169.

بوسعي أن أقبل بنصف كتابة، ونصف اعتراف، اكتب اليوم مستجيبة لغواية الاعتراف والسرد ونداءات الكتابة"¹.

فكتابة ما بداخلنا أحاسيسنا وآلامنا تجعلك صديقا، تجعلك واضحا مع ذلك، تفهم بداخلك، تداوي أوجاعك، لقولها من الرواية "إنني أكتب لكي أكون واضحة معي، وحيدة معي، مليئة بي"². فعائشة اختارت الكتابة لنسيان ماضيها لعلاج ألمها وحزنها على فقدانها فلذة كيدها أمام عينيها.

"وهذا هو السر في التأثير الهائل الذي تحدثه ((اليوميات)) في نفوس قارئها فلا يكاد المرء يقلب بعضا من صفحاتها حتى يشعر بالعطف نحو هذا الكائن العابر الذي قدر عليه الشقاء منذ الميلاد"³.

هذا فإن الكتابة هي أعظم وأسهل طريق للعلاج من الاكتئاب والقلق والهرب من الضغوطات النفسية التي تصيب الإنسان، كموت شخص عزيز أو الحيرة من أمر ما أو الشعور بالندم.. فهي ضرب للإفصاح عن كل شيء لا نستطيع أن نبوح به لغيرنا. الرواية اقترحت الكتابة حلا للتغلب على مصاعب الحياة ومصائبها وعائشة اختارت الكتابة لتحيا من جديد "كتابة اليوميات نوع من الثقة بالنفس"⁴.

2- الطبيعة

للطبيعة تأثير كبير على الانسان سواء على صحته النفسية ام قدراته العقلية ام صفاته الشخصية فالتعرض المباشر للطبيعة يمنح للإنسان الاتزان النفسي والراحة وتعطي له الأمل وتدفعه للحياة.

¹ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط، 2012، ص109.

² نفسه، ص11.

³ عبد الرحمان بدوي، العبقرية والموت، دار القلم، بيروت، لبنان، ص158.

⁴ نفسه، ص139.

ففي الرواية نلاحظ أن الكاتبة اعتمدت على مزج الكتابة بالطبيعة بحكم أن الطبيعة تربطنا بشكل تلقائي بالحياة، فالطبيعة كانت دافعا وعلاجاً لنفس عائشة "قررت أن آخذ الطريق إلى البحر، كانت مياه الخليج فيروزية، وقد أمعنت في النظر إلى البحر، حتى خيل إليّ بأنني أتنفس ماءه، لم أكن نفسي كنت تلك الأمواج، عالم كله ماء، مياه التكوين الأولى التي ابتداءً الله منها كل شيء، كنت أرتوي وأحس بالكون يرحب بي لأول مرة، وكأن الهواء مضمخ بحب غير معهود يغلف الكائنات وأنا من بينها"¹.

فهذه الكلمات والعبارات ترينا الحياة بشكلها الطبيعي، فالبحر والمياه والأمواج والهواء كلها تبعث فينا الأمل والحياة من جديد، فالطبيعة هي دواء لكل داء "أوقفت السيارة قليلاً، ونزلت أمشي على رجلي على أرصفة الواجهة، ورأيت الكويت تتناوب مع طلوع الشمس، ترفل بثوبها الأزرق، جلست... وحلمت في يقظتي حلمت بي أنزل إلى البحر ألمس الماء، وحلمت بأسماء فضية تسبح بين ساقي، وحلمت بي أفعل أشياء... أشياء كثيرة لم يخطر لي قط أن أفعلها رغم كل هذا الوقت الكثير الذي كان لدي"².

"بالأمس مشينا بمحاذاة البحر، امتلأنا بالنسيم الربيعي... "تكتشفين البحر والنسيم والسحب، وأضواء المدينة الليلية ترقص على صفحة الماء، يقول معاذ بأنها تشبه "سبابك من ذهب" وتقول مريم بأنها تشبه "ترتر" فستان سهرة" ، فالكاتبة هنا أبدعت في وصف الطبيعة وأوضحت مدى تأثيرها على نفس الإنسان.

"صباح الأمس، كنت معهم في مقهى والعالم مشرق، والموسيقى هادئة ومسالمة، كنا نطل على البحر لأن معاذ يعتقد بأن الله قد أودع في البحر قدرات علاجية".

فالطبيعة عموماً وللبحر خصوصاً قدرات ساحرة على امتصاص الحزن وبعث الأمل وحب الحياة، والإلهام، فهو ملجأ كل شخص حزين ومهموم يشاركها أحزانه ويعبر عما

¹ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط، 2012، ص92.

² نفسه، ص93.

بداخله، يبعث في النفس راحة وسكينة فيأخذك بأمواجه الساحرة إلى عالم آخر، بالإضافة إلى كونه إلهاما لكثير من الشعراء والرسامين وغيرهم.

"لا تكون أمام وصف دقيق لطبيعة شخص عندما نسمعه يقول أنه يحبذ المشي وسط حقول السنابل الصفراء العالية، وأنه يفضل الألوان الباهتة والمصفرة التي تنتشج بها الأزهار والغابات في فصل الخريف وما عداها من الألوان، لأنها تشير إلى جمال مما لا تستطيع الطبيعة أن تبدع له مثيل وأنه يشعر بنفسه بين أشجار الجوز بأوراقها الثخينة كما لو كان بين أهله وذويه"¹.

فالتبيعة هي الحزن الدافئ للإنسان، تخرجنا من المعاناة والألم الذي يعيش فينا تعيدنا أكثر بساطة ترينا الحياة بلا تعقيد، تغير نظرتنا ببعث الأمل وحب الحياة والأهل... ومن الرواية "رأيت بالأمس حلما عجيبا كنت أجلس على الشاطئ، معي معاذ ومريم وعدنان يجلس بعيدا عنا بخطوات وأمي تتقدمنا ببضعة أمتار، أقرب إلى البحر فاردة ساقها إلى الماء والأسماك الفضية الصغيرة... هل ترين يا عائشة البحر اليوم ملون وليس أزرق، نوه معاذ، وكان على حق كان البحر يعكس كل الألوان، الأرجواني، الأصفر الذهبي، الوردية، الأخضر أيضا، ولم يكن له لون الأزرق إلا في أطرافه... حتى الشجر، حتى الرمل حتى النخيل"².

فالكاتبة ترى أن المناظر الطبيعية تعبر عن الإنسان تشعرنا بالتوازن الثابت بين داخلنا وخارجنا فكل إبداعاتنا الرسم، الموسيقى، الكتابة، وغيرهم تنطوي على الطبيعة فهي الدافع لكل إبداع.

¹ فريدريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، كتاب المفكرين الأحرار، ترجمة أصالة، إبراهيم أبو عبدة، ص 42.

² بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط 2012، ص 206.

"هذه المرة لن أكره عودتي، لو قدر لي أن أعود فسأجرب الوجود بطريقة أخرى... سأكون بقرب البحر... دائما سأتخيل الأشجار... ربما أضع أصص ورد عند مدخل بابي، وعند نافذة غرفتي"¹.

الموت حياة

يوجد مثل قديم يقول: الغريب أن الموت يعيد صياغة البشر ويجعلهم أكثر إحساسا بالحياة فهذا المثل رأيت أنه ينطبق على هذه الرواية وما أرادته الروائية وما أرادته الروائية أن يصل إلينا فكثيرا من الوجوه التي كانت معنا ولكنها الآن في دار أخرى ولا يمكن الرجعة منها وكثيرا ما يُسمع عن جنازات لأسماء جمعتنا معهم الأيام أو ذكرى ما ولا ننسى مشاهد الموت التي نسمعها ومشاهدها كل يوم وكأن هذا لا يعيننا حتى يصيب أحد قريب منا أو عندما نتعرض لأزمات صحية حادة والحقيقة أننا نتعايش مع لحظة الموت في كل ثانية فما نحن إلا جنازات مؤجلة هذه الحقيقة حتمية لا مفر منها مهما عشنا من العمر أو اتخذنا من التحصينات لقوله تعالى: "أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ"².

بمعنى أن الموت لاحق بحلول الأجل ولا مانع منه الحصون كالأبراج حتى ولو كانت محروسة ومع هذا فالإنسان لازال يظن نفسه أنه يهرب من الموت وبهاقة ولا توجد الجرأة للتكلم عنه بالرغم أنه أحيانا يتعذب الإنسان ويتألم بدرجة يتمنى فيها الموت لكنه إذا جان يسعى للهروب منه والبقاء في الحياة بكل الطرق.

يا له من تناقض لا يعرف أنفسنا هل نحن على قيد الحياة أم في عداد الأموات.

¹ بثينه العيسى رواية عائشة تنزل الى العالم السفلي الدار للعلوم الناشرين بيروت لبنان ص213

² القرآن الكريم، "سورة النساء"، الآية 78.

فالموت لا يعني نهاية الحياة عند المسلمين فهم يدركون لأن هناك حياة أخرى بعد الموت والحياة مهما كثر بريقها وعظم حمالها فلن يتحقق مطلبها إلا بتذكر حقيقة زوالها وكأن الحياة حلم لا تتعد مدتها إلا بضع دقائق.

ولذلك فالواجب علينا أن نحب الحياة ونعمل للممات عن طريق عمل الخيرات وكسب الحسنات والابتعاد عن الآثام والسيئات.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع سواء من الناحية العلمية أو الأبية فقد بقيت هذه الاشكالية لجد الآن مطروحة في الأدب العربي لدى الكتاب والروائيين، فقد استلهموا وتناولوا في كتبهم الجدل القائم بين ثنائيتي الموت والحياة ومدى علاقتهما بالإنسان فوظفوا جماليات الموت والحياة في حدود الفضاء الأدبي وركزوا على البنية الداخلية التي تشمل هاتين الثنائيتين أي الموت والحياة واعتبار الواقع المعاش القدوة التي استلهموا منها مواضعهم لتصبح الشخصيات هي التي تجسد هذا الجيل القائم من خلال الأمكنة والأزمنة التي يحددها الكاتب وهذا يزيد جمالاً وفتناً.

لكن هذه المرة تحدثت الروائية بثينة العيسى في روايتها عائشة "تنزل إلى العالم السفلي" عن الموت والحياة بطريقة مختلفة غامضة ومسوقة في الآن نفسه وربما أرادت أن تعرفنا بأن الموت هو موت الأحباب الأقرب منك باعتبار أن الميت قد ذهب إلى التراب وذهب معه إحساسه لكن الأحياء هم الذين مازالوا يشعرون بحرقه الموت وهذا ما حدث مع عائشة حينما توفي ابنها وحكمت على نفسها بعد وفاته بالعزلة والوحدة وقراراتها في الانتحار وهذا ما تجسد في الرواية وما يؤكد ذلك قولها أنا عائشة سأموت خلال سبعة أيام وحتى ذلك الحين قررت أن أكتب

ثم تعود وتجيّب في النهاية الرواية وتقول "فلاكف عن الكتابة إذن. وأذهب لتجربة العالم"¹.

¹ الروائية، ص 226.

- هذا ما برهن على أن الموت والحياة كلاهما مرتبطان ببعض وأن بداية الحياة نهايتها الموت ثم بعد الموت حياة أخرى.

التعريف بالرواية والروائية

بثينة وائل العيسى من مواليد 3 سبتمبر 1982 كاتبة وروائية كويتية مديرة دار (تكوين) للنشر منذ 2016م، حاصلة على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال تخصص التمويل والمنشآت المالية، كلية العلوم الإدارية جامعة الكويت 2010.

مؤلفاتها

- ✓ ارتظام لم يسمع له دوي (رواية) عن دار المدى سوريا 2004.
- ✓ سعار (رواية) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2005.
- ✓ عروس المطر (رواية) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2006.
- ✓ تحت أقدام الأمهات (رواية) عن الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت 2009.
- ✓ قيس وليلى والذئب (نصوص) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2011.

الجوائز

- ✓ حائزة على جائزة الدولة التشجيعية عن روايتها "سعار" 2005 / 2006.
- ✓ حائزة على المركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة 2003 وفرع القصة القصيرة.
- ✓ حائزة على المركز الثالث في مسابقة الشيخة باسمة الصباح فرع القصة القصيرة.

✓ حائزة على المركز الثالث في مسابقة مجلة الصدى للمبدعين 2006¹.

¹ بثينة العيسى، عائشة تنزل إلى العالم السفلي الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط، 2021، ص 227-228.

ملخص ما جاء في الرواية

رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي هي رواية أحداثها مستوحاة من قصة حقيقية وقد كتبت بتواطئ صريح من شراسة الواقع ومجاز المخيلة هكذا ابتدأت الكاتبة روايتها في 18 من أبريل عام 2007 توفي عبد العزيز عن عمر يناهز الخامسة والنصف بعقل حادث سيارة وهو يقف في الشارع ويحاول التقاط لعبه ليترك والدته عائشة بأحزانها ووحدتها تكتب وتكتب لعل حزنها يخبو صارت الكتابة صديقتها الوحيدة في أيامها الأخيرة كما تخبر هي.

رواية تحتوي على عدة شخصيات من بينها عائشة بطلة الرواية هي امرأة متزوجة لرجل يدعى عدنان، تعرضت لأزمة عاطفية ألا وهي فقدانها ابنها إثر حادث سيارة أما عينها مما دفعها إلى رفض فكرة قبول الحياة من بعده، تحدثت عن الأحداث بالساعات دونت معها ألمها وحزنها ونظرتها السحيقة للحياة والموت بشكل خاص فلقد ماتت عائشة ثلاث مرات منذ وفاة ابنها وعادت ثلاث مرات أيضا وقد تزامنت ميقاتها مع ذكرى وفاة عزيز ابنها في 18 أبريل 2008-2009-2010 الذكرى الرابعة تأتي بعد أسبوع لذلك ستحيل ميقاتها الرابعة التي تظنها هي أنها الأخيرة.

فعائشة تلك الأم التي عادت بالشعور بالذنب والندم هذه المشاعر التي غدت حزنها، فأصبحت تكره وجودها وحياتها وتحب الموت.

لكن في الأخير نرى أن عائشة وجدت من الكتابة والطبيعة راحة واختارت طريقا غير الذي أرادته من البداية لقولها من الرواية "هذه المرة لن أكره عودتي، لو أقدر لي أن أعود فسأجرب الوجود بطريقة أخرى...".

قراءة في عنوان وغلاف الرواية

صدرت رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي للروائية الكويتية بثينة العيسى عن دار العربية للعلوم ناشرون الطبعة الأولى في 14-4-2012م وعدد صفحاتها 232 صفحة من الحجم المتوسط.

أ- **العنوان:** عائشة تنزل العالم السفلي هو العنوان الذي اختارته الروائية بثينة العيسى بروايتها نلاحظ أن العنوان يحمل ثنائية ضدية عائشة اسم نابض بالتشبهت بالبقاء والحياة واستمرار العالم السفلي المقصود به الموت.

ب- **الغلاف وتصميمه:** الغلاف في حلة رصيف عليه أوراق متناثرة يعكس إلى حد ما محتوى الرواية التي بها عواصف من الحزن والأسى والندم وتقلبات في المشاعر نلاحظ في الغلاف اسم الكاتبة في الأعلى باللون الأبيض بخط متوسط واللون الأبيض يمثل في العديد من الثقافات مفهوم النقاء والبراءة، وهو رمز يشير إلى الضياء والسلام والبداية والتجدد بدلالة معاكسة إلى اللون الأسود الذي يدل على الظلمة والعنوان في وسط الغلاف عائشة بخط أكبر وباللون البنفسجي دلالة على الأنوثة وبخط أقل مكتوب تحت اسم عائشة تكملة العنوان تنزل العالم السفلي باللون البنفسجي الغامق الذي يرتبط عادة بالروحانية ويحفز خيال الإنسان ليصل إلى الأفكار العميقة كما أنه يوسع آفاق التفكير ويزيد الوعي والقدرة على الإبداع وله دلالات عديدة منها الغموض وأيضاً أحياناً يرتبط بالحزن والكآبة والإحباط.

خاتمة


خاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن أن نلخص ما يلي:

- 1- استطاعت الرواية العربية أن تتحرر من القيود والتقنيات التقليدية للكتابة وقد تغلغت في الذات الإنسانية وكشفت عن أشكال سردية ومناهج جديدة.
 - 2- ثنائية الموت والحياة من أهم المواضيع تداولاً وقد عالجهما الكتاب بطرق مختلفة ولكن الشيء المؤكد أن الموت جزء من الحياة لذا يجب علينا أن نحب الحياة ونعيشها، ولا ننس أن نعمل للموت لأنه مصيرنا.
 - 3- عائشة تنزل إلى العالم السفلي هي رواية جسدت الوجد بطريقة عجيبة جعلتنا مدهوشين لدرجة التساؤل هل هناك حقاً ألماً كالآ أم الذي عايشته عائشة وحول حياتها لواقع لا يُعاش جراء فقدان ابنها أمام ناظريها.
 - 4- تمكنت "بثينة العيسى" من أن تثبت قدرتها الفنية في الكتابة من خلال دقة التصوير وشرح التفاصيل ووقف الأماكن وربطها بالأحداث وتتابع العنصر الزمني بحر فيه شديدة فتجعل من القارئ يُعايش الأحداث وكأنه جزء من الحدث، ولا يمكن ترك قراءة الرواية في منتصفها مهما كان طولها.
- هذا ما يسمى بالأسلوب المنفرد.
- 5- في هذه الرواية قدمت "بثينة العيسى" حكايتها في طبق من وجع واستنتجت بأن الموت ليس بضرورة نهاية بل قد يكون بداية جديدة.
 - 6- الحياة ساحة سباق للإنسان فالمؤمن يفوز بالجنة والكافر يخسر ومكانه في النار.
 - 7- تزيد أهمية الإيمان عند المؤمن بكسبه للحسنات كل يوم.
 - 8- الموت كلفظة لا يقتصر على اللفظة فقط بل توجد مصطلحات تدل على مفهوم الموت.
 - 9- الحياة والموت موجودان منذ بداية الخلق.
 - 10- من الألفاظ التي تدل على الموت -القتل، الفناء.

خاتمة

- 11- الحياة دار ابتلاء ولا بد للمؤمن فيها أن يعمل الخيرات.
- 12- ارتبطت النفس بالعمل للحياة اما الروح فقد ارتبطت بالوفاة.
- 13- على الإنسان أن يتعظ ويأخذ العبرة مما يرى في حياته.
- 14- اعتبار الشهادة في سبيل الله مبعث للفرح فالمؤمن جعله الله في اختبار طيلة حياته.
- 15- يظهر الله عز وجل بعظمته بعد انتهاء الحياة.
- 16- بيان معاني الحياة والموت بمعانٍ مجازية.



قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المراجع :

المصادر:

القران الكريم :

الروية :

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
- 2- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف ب الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 3- أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2011.
- 4- إيليا أبو ماضي قصيدته الطلاس.
- 5- بثينة العيسى عائشة تنزل إلى العالم السفلي، الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، ط2012/04/14.
- 6- توني بارنستونو تشاوبينغ، ترجمة، عايد إسماعيل، فن الكتابة تعاليم الشعراء الصينيين، دار المدى للثقافة والنشر، 2014.
- 7- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبنانية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1972.
- 8- الحسيني الحسيني معدي، الأساطير السومرية، كنوز للنشر والتوزيع، ط(1)، 2012.
- 9- حمدية كامل رضوان، جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، جامعة بابل، العدد واحد.
- 10- زكرياء إبراهيم، مشكلات الحياة، مكتبة مصر.
- 11- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار صيدا (د.ط)، بيروت، لبنان.
- 12- عبد الرحمان بدوي، العبقرية والموت، دار القلم، بيروت، لبنان.
- 13- عبد السلام مساوي، فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية، 1997.

- 14- عبد الفتاح محمد الخواج، الإرشاد النفسي والتربوي، دار الثقافة، ط2، عمان، الأردن، 2009.
- 15- عبد اللطيف الصوفي، فن الكتابة أنواعها مهارتها أصول تعليمها، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007.
- 16- فرح أنطوان ابن رشد، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2009.
- 17- فريديريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، كتاب المفكرين الأحرار، ترجمة أصالة، إبراهيم أبو عبيدة.
- 18- الفيروز الأبادي، قاموس المحيط، دار القاهرة.
- 19- فيصل عباس، التحليل النفسي وقضايا الإنسان، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1991.
- 20- لسان العرب، باب اللام فصل الألف (أجل) ج11.
- 21- مجدي الكيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية المكتب الجامعي الحديث (د، ط)، الإسكندرية، مصر، 2009.
- 22- محمد عبد العزيز المعاينة، الفلسفة الإسلامية، دار حامد، ط1، عمان، 2، الأردن، 2008.
- 23- مختار الصحاح، باب الزاي، (زهق) .
- 24- مختار الصحاح، باب الفاء، فنى.
- 25- مختار الصحاح، باب الميم.
- 26- مصطفى محمود، لغز الموت، دار المعارف.
- 27- مفردات ألفاظ القرآن ط1، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية 1416هـ/1996م، كتاب الميم من .

المجلة:

عبد السلام ميساوي فكر ونقد مجلة ثقافية فكرية

المذكرات :

سعيد حسين العيد يوسف، الموت والحياة، دراسة موضوعية في المصطلح القرآني
"بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة
النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2017.

المواقع الإلكترونية :

المراجع الإلكترونية www.haaty.com



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

| الصفحة | المحتوى |
|--------|--|
| أ-ج | مقدمة |
| | الفصل الأول: مفاهيم نظرية حول الموت والحياة |
| 6 | 1- مفهوم الموت |
| 8 | 2- مفهوم الحياة |
| 11 | 3- ألفاظ وآيات قرآنية ذات صلة بالموت والحياة..... |
| 15 | 4- الموت والحياة في الفكر الفلسفي والديني..... |
| | الفصل الثاني: موضوعات الموت في الرواية |
| 28 | 1- فلسفة الموت والحياة..... |
| 29 | 2- موضوعات الموت |
| 36 | 3- موضوعات الحياة..... |
| 43 | 4- الموت والحياة..... |
| 49 | خاتمة |
| | قائمة المصادر والمراجع |

ملخص الدراسة

إن الموت والحياة هما أكثر ثنائيتين لارتباطهما المصيري بحياة الإنسان والهدف من هذه المذكرة التي عُنُوَّتْ بفلسفة الموت والحياة في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي هو التعريف بهذا الموضوع وبيان أهميته وشرح الآيات التي تحتوي على لفظة الموت كالأجل وهذا في الفصل النظري.

أما في التطبيقي فقد قمت باستخراج الفصل وتحليل الموضوعات الدالة على الموت والحياة منطلقاً من الإشكالية التالية: كيف برزت فلسفة الموت والحياة في الرواية وكيف للإنسان أن يتعايش مع هذه الثنائية وما أثرها على الفرد والمجتمع؟ معتمدة على المنهج الموضوعاتي والتحليل النفسي.

ومن النتائج التي توصلت إليها:

- إن الحياة والموت أمر محقق على جميع المخلوقات.
- تعد ثنائية الموت والحياة من المواضيع الرئيسية في الإبداع الأدبي وذلك لمعالجتها من طرف الكتاب بطرق مختلفة.
- الحياة ما هي إلا طريقاً لحياة أخرى بعد الموت.

Summary

Death and life are the two most frequent and controversial dualities, due to their fateful connection to human life.

The aim of this study, which is entitled "The Philosophy of Death and Life in Al-Shaykh's 'The Underworld'", is to define this subject and explain the verses that indicate the meaning of death, and this is in the theoretical chapter.

As far as the application extracted and analyzed the themes indicating death and life, based on the problem of how this philosophy appears in the novel?

How can a person live with this duality and what is its impact on the individual and society? It is based on the thematic approach and psychological analysis, and its findings include that life and death are certain for all creatures.

The duality of death and life is one of the main topics in literary creativity, as it is dealt with by writers in different ways.

Life is only a path to another life after death.